المحاضرة الرابعة: الدراما الرومانية

مسرح روما القديمة كان ضرباً من مزدهرا من الفنون، تنوع من أداء الأعياد لمسرح الشارع، الرقص والأكروبات، إلى العرض المسرحي لكوميديا المواقف لمكاتب بلاوتوس التي كانت تحظى بقبول واسع، إلى النمط المتحذلق من التراجيديات ذات الكلمات الصعبة من تأليف سينكا. وبالرغم من أن روما كان لديها تقليد محلي من الأداء، إلا أن الثقافة الرومانية في القرن الثالث ق.م.

يعتبر عام 240 ق.م هو تاريخ ظهور المسرحية على نمط النماذج اليونانية في روما عندما عرضت أول مسرحية يونانية في الأعياد الرومانية (ludi Romani) مترجم باللغة اللاتينية قام بنقلها إلى اللاتينية ليفيوس أندرنيكوس(livius Andronicus) وكان أول من اكتشف أن في روما جمهورا للأدب اليوناني.

وقد أستمد الأدب الروماني الناشئ نماذجه من المسرحيات الإغريقية، بيد أنه في الوقت نفسه لم يغفل الموضوعات الوطنية، ذلك أنه إذا كان جنايوس نايفيوس قد أقتبس من التراجديا الإغريقية موضوعات الكثير من مسرحياته، فانه ألف كذلك مسرحيات تراجيدية قوامها موضوعات رومانية بحتة.

وفي مجال المسرحيات الكوميديا أيضا كانت القاعدة الشائعة أول الأمر هي الاقتباس من أصول إغريقية. ولم تنبع الكوميديا الرومانية من مسرحيات أرسطوفانس (Aristophanes) القديمة التي كانت الحياة السياسية الحرة دعامة وجودها مثل أثينا في القرن الخامس قبل الميلاد.

ولكنها نبعت من الكوميديا الحديثة التي ظهرت في القرن الرابع قبل الميلاد والتي كانت مستمدة من الحياة الخاصة والمحمية. وكان الشاعر ميناندر (Menander) هو الاسم الرئيسي في هذا الميدان، إن العالم الذي يصوره ميناندر عالم حيوي معقد يتفق ومزاج المشاهد الروماني في كثير من نواحيه.

لكن الكوميديا اليونانية الحديثة كانت تنقصها الحركة فقد كان إيقاعيا بطيئا، يتخللها كثير من التحميل النفسي، ورسم شخصياتها يتطلب ذكاء خارق، وكان المتفرج الروماني يحتاج إلى مزيج قوي من الذوق الفني الرفيع والحركة النشطة وإلي حيل أكثر وشخصيات مضحكة وحيوية فياضة في المسرحية.

وقد تطور الأدب المسرحي اللاتيني تطورا سريعا بسبب كثرة الطلب على المسرحيات لعرضها في الحفلات العامة، وبمرور الوقت أخذ مؤلفو المسرحيات الرومانية يعزفون عن الاقتباس من المسرحيات الإغريقية ويجنحون نحو اتخاذ قصص مسرحياتهم وشخصياتهم من البيئة الرومانية لكنهم مع ذلك لم يفلحوا إطلاقا في التحرر تحررا كاملا من النماذج الإغريقية.

ولما زاد الاهتمام في التمثيل بحركات الممثلين وبالمناظر بدل الحبكات والأفكار تخلى التمثيل عن مكانه في المسرح إلى التهريج والمساخر. وكانت المساخر لا تحتوي إلا على القليل من الحوار، وكانت تختار موضوعاتها من حياة أحط الطبقات، وتعتمد عمى تصوير الشخصيات تصويرا بارعاً في التقليد الساخر وبعد أن قضى على حرية القول في الجمعيات وفي السوق بقيت بعض الوقت في هذه المهازل القصيرة، حيث كان في وسع الماجن أن يجازف برفع رأسه وإطلاق لسانه لينال بذلك تصفيق الجماهير بتورية يسددها إلى الإمبراطور أو الملتفين حوله.

ارتفعت موضوعات المسرحيات فأصبحت تستمد من الآداب القديمة، تطورت المهازل الماجنة إلى استعراضات صامتة، وكان في ترك الكلام على هذا النحو كسب للجمهور، ذلك أن سكان روما المختلفي الأجناس كانت كثرتهم لا تفهم إلا اللغة اللاتينية البسيطة إلى أقصى حد، ومن أجل هذا أصبح في استطاعتها أن تتبع حركات الممثلين بعد أن لم تعد مثقلة بعبء الألفاظ.

مقارنة المسرح اليوناني مع المسرح الروماني:

إن كل حضارة مهما ازدهرت، لابد وأن تزول يوما، بفعل عوامل داخلية أو خارجية، فمنذ القرن الثاني قبل الميلاد، بدأت الحضارة اليونانية بداية النهاية، ليظهر نجم الحضارة الرومانية، فتزاوجت الحضارتان فيما بينها سنوات، ويعتبر المسرح جزءا من هاتين الحضارتين، وبسبب هذا التزاوج كان مسرحا إغريقي الروح وروماني الشكل، إذ أن طابع العمارة الرومانية، قد فرض نفسه على بناء المسرح، وطغت الأفكار الجديدة على التقاليد الراسخة، فهناك مجموعة من النقاط التي يختلف فيها المسرح الروماني عن المسرح اليوناني أو يتفق، يمكن أن تكون كما يلي:

- جمع المسرح صفات المسارح اليونانية والرومانية معا، بشكل عاما
- راعى اليونانيون أن تكون مسارحهم خارج نطاق المدينة، للاستفادة من المنحدرات الجبلية الطبيعية، أما الرومان فقد بنوا مسارحهم وسط المدينة، واهتموا بالزخارف والنقوش الجمالية، لمبنى المسرح من الخارج.

- قام المسرح اليوناني على مفهوم ديني، لذا بنى اليونانيون مسارحهم إلى جوار معابد الآلهة، أما المسرح الروماني فإنه فقد صبغته الدينية، وقد جاء استخدامه أحيانا للتمثيليات، وأخرى للمبارزات والمصارعات والألعاب المائية.
- إن ابتعاد المعماريين عن التلال، التي كانوا يستخدمونها لبناء المسارح في العصر اليوناني، والبناء وسط المدينة، جعلهم يفكرون في تدريج بديل لقاعة المشاهدين، وبالفعل بنوا مدرجات صناعية.
- في المسرح الروماني، زحف الصف الأول من مقاعد المشاهدين نحو الأوركسترا، فزاد الاتصال بين منصة التمثيل ومكان المشاهدة، وبذلك يختلف عن المسرح اليوناني، الذي بدوره كانت مقاعد المشاهدين فيه، أبعد عن الأوركسترا.
- اتسم المسرح الروماني بتقديم العروض الفكاهية التي تعالج مشاكل الحياة العادية، وهذا بدوره يتطلب نوعا من الصدق والواقعية.
- لم يتم التقيد بالانحدارات، لبناء المسارح عليها في الفترة الرومانية، كما فعل اليونان، بل أوجد الرومان الأنظمة الإنشائية، التي تحل مثل هذه المشاكل كالقناطر والأقنية وغيرها

وهناك بعض السمات التي انفرد بها المسرح الروماني:

– ارتفعت بعض المسارح الرومانية إلى ثلاثة طوابق.

– عرف الرومان الستائر.

غطيت خشبة المسرح الروماني بسقف مائل بواسطة الأخشاب، وقد استفيد من وجود هذا السقف في أمرين:

أ–حماية خشبة المسرح للممثلين من تقلبات الجو.

ب–المساهمة في تحسين الصوت ووصوله إلى المشاهدين نقي.

–ساد المسرح الروماني النظام الطبقي، إذ خصصت مقاعده الأمامية للطبقة الممتازة ولصفوة القوم، بينما جعلوا المقاعد التالية للمقاعد الأمامية لرجال الدولة والكبار، بينما ظلت المقاعد الخلفية لعامة الشعب.

<u>المراجع</u>:

- أنس أحمد الشامي، تاريخ المسرح الروماني ووظيفته (200ق.م –330 م) ، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في تاريخ الشرق القديم، جامعة دمشق،2019/2018.